

التصنيف بما يرتضيه أولاً، وبما يمكنه من تشريك القارئ في تمثله إلى حد الاقتناع ثانياً، غير أن لهذا الوعي حدوداً تجعله إلى الإدراك الغامض أقرب منه إلى الأحكام التفصيلية، فذاك الجاحظ نفسه - وقد رأيناه يستنكف من أن يورد في «البيان والتبيين» خبراً ذكره في كتاب «الحيوان» مصرحاً بأن السبب في ذلك إنما هو اجتناب التكرار - نراه في كل كتابه لا يكاد يجاوز بضع الصفحات حتى يكرر خبراً أو حديثاً أو شعراً وحتى النوادر والملح مما إذا تكرر فقد سمته المميّزة وغايته المنشودة، وإذا رجعنا إلى بعض مواطن التكرار وفحصنا المسافات الفاصلة بينها من حيث المجال الدلالي العام للأثر كدنا نجزم أنه تكرر «لا إرادي».

ففي الصفحة السابعة من الجزء الأول يورد الجاحظ خبراً عن ابن البختكان الحكيم الفارسي الذي نعلم أنه راوي قصة كليلة ودمنة وكيف ترجم من كتب الهند، فيقول: «وقيل لبزر جمهر بن البختكان الفارسي: أي شيء أستر للعبي؟ قال: عقل يجمله، قالوا: فإن لم يكن له عقل. قال: فمال يستره، قالوا: فإن لم يكن له مال. قال: فإنخوان يعبرون عنه، قالوا: فإن لم يكن له إخوان يعبرون عنه، قال: فيكون عيباً صامتاً، قالوا: فإن لم يكن ذا صمت. قال: فموت وحي خير له من أن يكون في دار الحياة».

ثم يعاود الجاحظ الخبر في (ص ٢٢١) من الجزء نفسه. بما لا يختلف إلا في بعض جزئيات الصياغة مما يدل على أنه لم يكن يحتمك